كلمة مجمع اللغة العربية

ألقاها الدكتور مروان المحاسني رئيس المجمع

أيها الحفل الكريم

إنها لمناسبة أليمة أن أقف اليوم مستذكرًا ما تميّز به فقيدنا من سماتٍ وشمائلَ، ونحن لم نزل نشكووقعَ المصاب الذي باغَتَنا، بعد أن كان الاطمئنان دخل قلوبَنا، حين عاد من رحلته العلاجية، وحضر اجتماع لجنته المفضلة، لجنة ألفاظ الحضارة.

لقد مرّت السنوات منذ أن تعرّفت بالأستاذ جورج صدقني عضوًا في مجمع اللغة العربية، وعرفت فيه الأديب المفتوح على الثقافة العربية، انفتاحًا بدأه في شبابه باتساع قراءاته لكبار الكتاب المحدثين، كالعقاد والمازني والحكيم وطه حسين، وذلك قبل دخوله المرحلةَ الثانوية من التعليم. وقد كان أيضًا من ذلك الجيل الذي تعلّم اللغة الفرنسية في تلك المرحلة الثانوية، إلا أنه تجاوز بجهده الشخصي ما يكتفي به الآخرون من معرفةٍ سطحية للغة الأجنبية، وتشرّب الثقافة الأدبية الفرنسية، وهي ثقافة عصيّة على من لا يدخل إلى صميم اللغة، ويستقيها من كبار أدبائها، لتصبحَ تعابيرها وتراكيبها حيةً في ذاكرته.

لقد مهدّت له ثقافته الواسعةُ سُبُل الدخول في مجال فكري يُحيط به الكثير من الأشواك، هومجالُ الترجمة، في أحد معاقلها المنيعة وهوحقل الفلسفة.

وكان ذلك بتشجيعٍ من أستاذه الدكتور بديع الكسم، بعد أن أنهى دراسته للفلسفة في جامعة دمشق، إذ طلب إليه ترجمةَ كتاب «المدخل إلى الفلسفة» للفيلسوف المعروف جاسبرز، وهومن المراجع اللازمة لطلاب الفلسفة. وانتقل بعد ذلك إلى ترجمة

كتبٍ عن هيغل وماركس بتشجيع من الأستاذ أنطون مقدسي، الذي كان يطلب إليه كذلك ترجمةَ المقالات الفلسفية لنشرها في مجلة المعرفة، معتمدًا ما عرفه عن الأستاذ صدقني بأنه متضلِّعٌ من كلٍ من الفرنسية والعربية، ليستطيعَ نقلَ تلك النصوص إلى العربية، بما هومطلوب من وضوح ودقةٍ وأمانة، تعتمد فهمًا حقيقيًّا للنص.

وإن هذه الملكة اللغوية هي التي دفعت الأستاذ صدقني إلى ترجمة كتابٍ هام جدًّا عن الزعيم الاشتراكي الفرنسي جوريس الذي اغتيل قبيل الحرب العالمية الثانية، وكان هدفه في ذلك توضيحُ منطلقات الاشتراكية الفرنسية.

وقد كان رحمه الله يُبدي إعجابه بالفيلسوف الفرنسي الكبير بول ريكور، الذي كان قد عرفه لدى إلقائه محاضرةً في المركز الثقافي باللاذقية، فأخذ على عاتقه ترجمةَ جميع ما يُنشر لبول ريكور في مجلة المعرفة. وإن ما هومعروف عن مذهب ريكور الفلسفي الظاهراتي، الذي ينظر إلى الظاهرة كما يتلقّاها الإدراك، وتستقرّ في الوجدان مُتضمّنةً كُنه الأشياء، يفسّر لنا تعلّق الأستاذ صدقني بما يكتبه ريكور بأنّه تجاوبٌ مع منطلقاته العقلانية الواقعية الشخصية، البعيدة عن الخلافات التي يثيرها التمسك بالتفسيرات المتشابكة للوصول إلى الحقائق، كما يظهر ذلك جليًّا من تتبّع مسارِ حياته.

ولقد كانت نظرته الواقعية عنصرًا مميزًا لمشاركاته في نشاطات مجمع اللغة العربية. فقد عرفناه سنوات عديدةً عضوًا في مكتب المجمع، الذي يتولى الإشراف على الأمور المالية والإدارية، فقد كان دومًا يعيد الأمور إلى منطلقٍ بسيط هوفهمُ روح النصوص القانونية قبل الإصرار على حرفيتها.

وأما مشاركتُه في لجنة ألفاظ الحضارة، التي تتولى إيجادَ المقابلات العربية لتلك الألفاظ الغازية، التي تُغرقنا بها العولمة بسرعة إنتاجها للعلوم والتقانات، فقد كان الطابعَ الغالب على مداخلاته فيها الابتعادُ عن الغريب المهجور، والإصرارُ على المقابِلات التي

تحتفظ بالجرس العربي، وترتبط بالمقاييس المألوفة، وكذلك تحويرُ الألفاظ الأجنبية التي يصعب إيجادُ المقابلات العربية لها، بأسلوب لغوي يجعلها تتعرّب، ليسهُلَ نطقها وتصريفُها في مجالات الكلام. وإنّ العملَ في هذه اللجنة يتطلب معرفةً دقيقة للألفاظ الفرنسية والإنكليزية المدروسة، وإلمامًا بتفاريعها، واختلافِ ما تنقله من المعاني باختلاف السياق الذي ترد فيه.

وقد كان الأستاذ صدقني من دعامات لجنة النشاط الثقافي التي تتولى اقتراحَ المحاضرات التي تلقى على منبر المجمع، بعد أن يقرَّها مجلس المجمع، كما أن هذه اللجنة تتولى التحضيرَ للمؤتمر السنوي للمجمع، الذي يُدعى إليه أعضاء المجامع العربية الأخرى، ويساهم فيه المستوى الأعلى من الباحثين في سورية والعالم العربي، لدراسة موضوعٍ يخدم اللغة العربية في حاضرها ومستقبلها.

وقد خان الزمانُ فقيدَنا إذ اختطفته يد المنون بعد مدة قصيرة من إنشاء لجنة مجمعية شارك في جلساتها الأولى مُستنِدًا إلى خبراته الإعلامية، وهي لجنةٌ تهتمّ بالإعلام لغةً وتعبيرًا ومستوًى، لتكون عونًا للإعلاميين في مسعاهم الحثيث إلى الارتقاء بلغة الإعلام المرئي والمسموع. كما أنها لجنةٌ تساعد على التخلّص من الهجمة العشوائية للغة الأجنبية على مختلف مجالات الإعلان، لعلها تعيدُ إلى جمهورنا تذوّقَ اللغة العربية، والإفادةَ من مرونتها وطواعيتها. وسنبقى في هذه اللجنة نعتمد الوسطيةَ اللغوية التي جعلناها هدفًا لنا، والتي أصبحت الحلَّ الوحيد لإبقاء اللغة العربية حيةً في وجدان جماهيرنا.

ومن المؤسف القولُ كذلك بأننا كُنّا قد اتفقنا مع الأستاذ صدقني على المشاركة في إنشاء لجنةٍ تهتم بتفهّم التراكيب والأساليب الأجنبية، التي هي من أهمّ مرتكزات الترجمة، للوصول إلى وضعِ الأبدال المناسبة لتلك الأساليب، دون الخروج عن الروح الحقيقية للغة العربية.

أيها الحفل الكريم

هذه كلمة عَجلى أردت منها تقديمَ نظرةٍ تنفذ إلى الجوانب الفكرية لفقيدنا كما تبدّت في ترجماته، وقد أردتها أيضًا توضيحًا للنواحي المختلفة التي اهتمّ بها فقيدنا في مجالات مجمع اللغة العربية، وجميعُها يصبّ في تأهيل اللغة العربية لأن تكون وعاءً عصريًّا يساير تحديات العصر، ويجعل العلومَ والتقانات في متناول أبنائنا، ليساهموا في بناء مستقبلهم.

وقد كان الفقيد ممن يؤمنون برسالة مجمع اللغة العربية في أهم النشاطات المؤدية إلى الارتقاء بمجتمعنا، وهومجال الترجمة. إذ إنه لا يجوز أن يُكتَفى بتسهيل دخولِ ألفاظ العلوم والتقانات إلى اللغة العربية، بل هناك حاجةٌ ماسة لترجمة معظم النتاج الفكري العالمي إلى اللغة العربية، لنفتحَ الباب واسعًا أمام تثاقفٍ مستمرٍ، يحول دون عزلةِ العالم العربي، المؤدّيةِ إلى تخلّفِه عن ركب الحداثة.

لقد مرّ الأستاذ جورج صدقني في أفق الثقافة واللغة في سورية رجلًا يؤمن بالعروبة، ويدرك ما للغة من موقعٍ رئيس في مستقبلها سياجًا لهوية أبنائها، وقد كان عمله في هذا المجال يتّسم بالتواضع ورهافة الحس وصدق الأخوّة، معتمدًا قناعاته بأن القيمَ الإنسانية تسموعلى جميع القيم الأخرى، وبأن الانفتاح على الثقافات الأخرى منجم ثريٌّ لم يستثمره العرب بالقدْر الذي تفرضه ظروف العصر، وأن استكشافَ ما في الثقافات الأخرى من نظراتٍ ثاقبة إلى إمكانات العقل البشري، إنما هوتحصينٌ للهوية العربية، وإفادةٌ من بحورٍ معرفية، وأخرى وجدانية، نحن بأمسِّ الحاجة إلى الاطلاع عليها.

أيها السيدات والسادة

إني أتقدم باسم مجمع اللغة العربية بأحرّ التعازي القلبية لأسرة الفقيد وللقيادة القومية، فالخسارة شاملة لنا جميعًا.

رحم الله فقيدنا وأثابه على ما بذله من جهود في خدمةِ لغتنا وتأكيدِ وجودها، والإصرارِ على ضرورة إعادتها إلى وجدان شبابنا، غير عابئين بضغوط العولمة.